التقنيات السردية
في رواية "رجال في الشمس" لغسان كنفاني

إعداد

د. بشير (Li ، Li)

باحث في الادب العربي ودراسات قضايا الشرق الأوسط

حاصل على دكتوراة الأدب العربي

كلية الآداب — جامعة الإسكندرية

دورية الإنسانيات - كلية الآداب - جامعه دمنهور -

العدد (65)- الجزء الأول -2025

التقنيات السردية .... في رواية "رجال في الشمس" لغسان كنفاني

د. بشير (Li ، Li)

المقدمـة

تدور هذه الروايـة[1] **حـول قصـة ثلاثـة رجـال فلسـطينيين** من مختلف الأعمار، اختاروا الهجرة إلى الكويت بطريقة غير شرعية عبر الصحراء، نتيجة لعدم امتلاكهم جوازات سفر، وأوراق ثبوتية، وذلك للهروب من الفقر وحياة الذل والظلم في المخيم بعد الغزو الإسرائيلي، فيظهر سائق الشاحنة، أبو الخيزران، الذي يعرفه رجال الحدود، ولا يتم تفتيش شاحنته، لذلك قرر أن يقوم بمساعدتهم عن طريق نقلهم بشكل سري، وغير قانوني. تبدأ الرحلة بداية غامضة في الصحراء الموحشة تحت حرارة الشمس المرتفعة، وتتزايد مخاوفهم من نقاط التفتيش قبل وصولهم إلى نقطة التفتيش الحدودية العراقية، فيضطرون إلى الاختباء داخل خزان الشاحنة لبضع دقائق بمجرد انتهاء إجراءات التفتيش، ليستأنفوا رحلتهم ويتناوبوا على الجلوس. وقبل الوصول إلى الحدود يقررون العودة إلى الاختبار مجددًا في الخزان، وعندما ينزل أبو الخيزران من الشاحنة في حاجز الحدود الكويتي، يتوقف رجل الحدود ليتحدث معه، ويستمر الحديث بينهما لمدة 15 دقيقة وكانت هذه المدة كافية لكي يختنق الرجال الثلاثة داخل الخزان وبدون خيارات أخرى. فيقرر أبو الخيزران التخلص من جثتهم في مكب للنفايات والاستيلاء على أموالهم.

وكانت آخر جملة من السائق أبو الخيزران في الروايـة: لماذا لم تدقوا جدران الخزان؟ لماذا لم تقرعوا جدران الخزان؟ لماذا؟ لماذا؟ لماذا؟[2].

وبهذه الطريقة ينجح كنفاني في إيصال رسالته الثورية والسياسية بطريقة أدبية رومانسية تلامس مشاعر القراء، وتعكس تجربة الفلسطينيين العاديين، فالرواية تعمل على إبراز قضايا الانتماء والعودة والحق في الأرض، مما يعزز أهمية النضال السلمي والاحتجاج ضد الظروف القاسية التي يواجهها الشعب الفلسطيني[3].

---

[1] صدرت الرواية في بيروت عام 1963م، وكانت من أوائل الأعمال الروائية الفلسطينية التي تعرض حياة التشرد، والضياع للفلسطينيين.

[2] غسان كنفاني، رجال في الشمس، دار منشورات الرمال، 2015م، ص 109.

[3] عبد الجليل، الاتجاه الرمزي في رواية "رجال في الشمس" لغسان كنفاني القراءات النقدية، نداء الهند، 2016م.

This novel revolves around the story of three Palestinian men of different ages who chose to immigrate to Kuwait illegally through the desert due to their lack of passports or identification papers. This was to escape the poverty and humiliation they endured in the camp after the Israeli invasion. A truck driver, Abu Al-Khayzuran, is known to the border guards, but his truck is not inspected. He decides to help them by transporting them secretly and illegally.

The journey begins mysteriously in the desolate desert under the scorching sun. Their fears of checkpoints increase before they reach the Iraqi border checkpoint. They are forced to hide inside the truck's tank for a few minutes once the inspections are complete, then resume their journey and take turns sitting. Before reaching the border, they decide to return to the tank for another test. When Abu Al-Khayzuran gets out of the truck at the Kuwaiti border checkpoint, a border guard stops to talk to him. The conversation lasts for 15 minutes, enough time for the three men to suffocate inside the tank, leaving them with no other options. Abu Al-Khayzuran decides to dispose of their bodies in a landfill and seize their money.

The last sentence of the driver, Abu Al-Khayzuran, in the novel was: "Why didn't you knock on the tank walls? Why didn't you knock on the tank walls? Why? Why? Why?"

In this way, Kanafani succeeds in conveying his revolutionary and political message in a romantic literary style that touches the readers' emotions and reflects the experience of ordinary Palestinians. The novel highlights issues of belonging, return, and the right to the land, reinforcing the importance of peaceful struggle and protest against the harsh conditions facing the Palestinian people.

المنهج المتبع في البحث: لقد اختار الباحث عدة مناهج تخدم الدراسة البحثية في الرواية، فقد استعان بالمنهج الفني والمنهج النفسي إضافة إلى المنهج الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: رجال في الشمس – غسان كنفاني – القضية الفلسطينية – اللاجئين – النكبة – الخزان.

المؤلف: غسان كنفاني:

هو الكاتب "غسان كنفاني" روائي، وقاص، وصحفي فلسطيني، وُلد في بلدة عكا في عام 1936، تعرض للاغتيال من قِبل جهاز المخابرات الإسرائيلية في منطقة الحازمية بالقرب من بيروت في عام 1972م. وذلك لأن كتاباته كانت تركز بشكل رئيسي على قضية تحرير فلسطين[4].

ومن أهم مؤلفاته:

1- عائد إلى حيفا.2- رجال في الشمس.3- العاشق الأعمى.

4- الأطرش.5- برقوق نسيان. 6- أرض البرتقال الحزين.

وكان غسان كنفاني «أكثر الكتَّاب الفلسطينيين، بل والعرب وعياً، وواقعية تجاه قضية وطنه، وعندما يطَّلع المتلقي على أعمال كنفاني على كثرتها، فيخص بالذكر الروايات التي حاكت واقع الشعب في جميع مراحل حياته مع المحتل، نظراً لقربها من الواقع، وقد نجح هذا الأخير في بلورة الوضع السياسي على وجه الخصوص، للمجتمع الفلسطيني في مراحل استسلامه وانهزامه، كام في مراحل كفاحه»[5]. ويعد "غسان كنفاني" صاحب أدب متميز في العصر الحديث، ذلك لأنه مثل الأدب الفلسطيني المتبني للقضية الفلسطينية، وأزماتها السياسية، والنضال المجتمعي ضد الاحتلال.

الواقعية والخيال

الواقعية في الأدب هي مصطلح يُستخدم لوصف النمط الأدبي الذي يسعى لتصوير الواقع بشكل دقيق وواقعي، بما في ذلك الشخصيات، والأحداث، والمواقف، دون إضافة تفاصيل

---

[4]وقد تم نفيه هو وعائلته عام 1948م، حيث كان يعيش في سوريا، ثم انتقل معهم إلى لبنان حيث حصل على الجنسية اللبنانية، وقد أكمل دراسته الثانوية في مدينة دمشق، ثم التحق بكلية الأدب العربي في جامعة دمشق، لكنه انقطع عن الدراسة، وانضم إلى حركة القوميين العرب.

ثم عمل معلماً في الكويت، ثم انتقل إلى بيروت حيث عمل في مجلة الحرية عام 1961م، وكان مسئولاً عن القسم الثقافي فيها، ثم أصبح فيما بعد رئيس تحرير جريدة المحرر اللبنانية، وأصدر فيها ملحقاً لفلسطين، **وقد عمل أيضاً** في جريدة الأنوار اللبنانية حتى عام 1967م، عند تأسيس الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

[5] سلمى الخضراء الجيوسي، مقدمة الأدب الفلسطيني في العصر الحديث المعاصر، مطبعة جامعة كولومبيا، نيويورك، 1992م، ص 59.

زائفة، أو مبالغة في الوصف، كما يهدف الأدب الواقعي إلى تقديم لوحة نمطية للحياة اليومية، والأحداث التي يمكن للقارئ تحديدها في الواقع[6].

وقد أظهر المؤلف "غسان كنفاني" استخداماً ممتازاً للواقعية، في وصف الشخصيات وتصويرها بدقة، وتعتبر هذا الأسلوب الواقعي، أحد العناصر الأساسية، التي تجعل الرواية غنية بالتفاصيل، وتُضفي عليها صفات ملموسة، وشخصيات متنوعة. **ومن خلال استخدام الواقعية في وصف الشخصيات**، ينجح المؤلف في رسم الشخصيات واقعية، ويحقق مصداقية للقارئ. تصف الشخصيات بتفاصيل حية تجعلها تتجلى أمام القارئ كأنها أشخاص حقيقية، تظهر بتجارب، ومشاعر حقيقية[7].

وتتجسد الواقعية في عمل الكاتب غسان كنفاني في "رجال في الشمس" حيث يُعتبر أحد الأمثلة الواضحة للواقعية في الأدب العربي، فالرواية لا تكتفي بتسجيل الحقائق، والوقائع فحسب، بل تقوم بإعادة تنظيمها، ومعالجتها بطريقة مبدعة لتجعلها ملموسة، وقوية، وتثير تفكير القراء. **وبالتالي**، يتم إعادة بناء واقع جديد يتناول قضايا اجتماعية، وسياسية هامة، ويعكس التحديات، والمشاكل التي يواجهها الشعب الفلسطيني.

الواقع المأساوي في الرواية: إن الواقع المأساوي الذي يواجهه الشعب الفلسطيني بعد النكبة هو واقع يتسم بالكثير من الألم والصعوبات حيث يعيش الفلسطينيون تحت ظروف قاسية ومحدودة في المخيمات نتيجة تشريدهم، وفقدانهم لمنازلهم وأراضيهم بسبب الهجمات العنصرية والاحتلال الإسرائيلي.

أما تصوير مظاهر الشتات والتشرد والتهجير في رواية "رجال في الشمس": إن الأبطال الثلاثة والسائق في الرواية، قد صوروا الشكل جيد الوضع الأخير للفلسطينين بعد النكبة في فلسطين، من حيث الشتات والتشرد والتهجير، فالكارثة الحقيقية في فلسطين قد أدت إلى مشكلة لاجئين خطيرة. ومشكلة اللجوء والتشرد كظاهرة اجتماعية عالمية، يمثل

---

[6] «لا شك أن الواقعية كمذهب أدبي، أو فني، كلمة جديدة، صيغت هكذا لتدل عليه، على اختلاف ما أُطلقت عليه، وما أريد لها وهي نسبة على الواقع، أما دلالتها اللغوية بمعنى تصوير الواقع، والتعبير عنه، فهي قديمة قدم الأدب والفن، أي أنها كانت موجودة قبل أن يكون لها أنصار، وخصوم، فالإنسان منذ بدأ يعبر عن وجدانه إنما كان يتناول واقعه، وواقع من حوله من الناس والأشياء، مرة يصور الواقع مجرد تصوير، وأخرى يستهدف بتصويره أغراضاً أخرى». عباس خضر، الواقعية في الأدب، دار الجمهورية، 1967م، ص 20.

[7] ويُعتبر الكاتب الفلسطيني، والمصري في ذلك الوقت من ممثلي مدرسة الواقعية، والتي كانت تنعكس في أعمالهم ذات الطابع الاجتماعي، والسياسي والروح القومية، حيث يُظهر طبيعة الشخصيات بشكل كامل، وهو مُركز على جعل الشخصيات واقعية وملموسة. إبراهيم الفيومي، الواقعية في الرواية الحديثة في بلاد الشام، دار الفكر للنشر والتوزيع، 1983م، ص50.

اللاجئون سلسلة من المشاكل المعقدة، ويواجه اللاجئون تحديات عديدة تتضمن التهميش وعدم الشرعية في مختلف الجوانب، وهو أمر يخلق تجربة مربكة ومعقدة بالنسبة لهم.

وهكذا الفلسطينيون بعد أن أجبروا على ترك منازلهم، على الرغم من أن العديد منهم توجهوا إلى الدول العربية التي تشترك معهم في اللغة والدين إلا أنهم لا يزالون يعانون من درجات متفاوتة من الاغتراب في البيئة المعيشية الجديدة[8].

«والآن مرت عشر سنوات على ذلك المشهد الكريه، مرَّت عشر سنوات على اليوم الذي اقتلعوا فيه رجولته منه، ولقد عاش هذا الذل يوماً وراء يوم، وساعة إثر ساعة، مضغه مع كبرائيه، وافتقد كل لحظة من لحظات هذه السنوات العشر»[9]. يبرز النص السابق تعامل اللاجئين الفلسطينيين مع عدة تحديات تنطوي على عدم شرعية الهوية، واختلافات العادات المعيشية والقوانين والمؤسسات، والقيود المفروضة عليهم مثل: قيود التنقل والحصول على تعليم وفرص عمل، وما إلى ذلك تجعلهم يشعرون بأنهم مجموعة مهمشة تعيش على هامش المجتمع المضيف.

ويرى الباحث أنه بشكل عام، يعيش اللاجئون الفلسطينيون في ظروف مأساوية، ويواجهون تحديات كبيرة في الحصول على الحقوق الأساسية وبناء حياة كريمة.

إن التركيز على قضية الشتات والتشرد والتهجير في الأدب الفلسطيني يسلط الضوء على هذه المشكلة المعقدة، ويعزز وعي المتلقي بأوضاع هؤلاء اللاجئين الذين يعيشون في ظروف صعبة، ويسعون لإعادة بناء حياتهم والحفاظ على هويتهم الفلسطينية رغم التحديات الكبيرة التي يواجهونها. «أنا شخصياً لا أهتم إلا بموضوع وصولي إلى الكويت، أما ما عدا ذلك فإنه لا يعنيني، ولذلك فإنني سأسافر مع أبي الخزيران»[10].

كما تعكس الرواية الانعدام الذي يشعرون به في مواجهة القوى العسكرية العنيفة، والظروف الصعبة التي يواجهها يومياً[11]. «الطريق! أتوحد بعد طرق في هذه الدنيا؟ ألم يمسحها بجبينه، ويغسلها بعرقه طوال أيام وأيام، كلهم يقولون ذلك: ستجد نفسك على الطريق»[12].

ويمكننا أيضاً أن نرى آثاراً للخيال في الرواية، لكن تعبير الفانتازيا هنا مميز تماماً، بالرغم من الواقعية القوية، التي تميز الرواية، وتصويرها الدقيق للحياة اليومية للفلسطينيين

---

[8] د. نضال صالح، قضية الأرض في الرواية العربية الفلسطينية، اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2004م، ص 63.

[9] غسان كنفاني، رجال في الشمس، مصدر سابق، ص 68.

[10] غسان كنفاني، رجال في الشمس، مصدر سابق، ص 63.

[11] عبد المحسن القطان، الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال، ط1، 2005م، ص 16.

[12] غسان كنفاني، رجال في الشمس، مصدر سابق، ص 22.

واللاجئين، إلا أن الكاتب ينقل بعض الجوانب الخيالية، والتشويقية للأحداث والتفاصيل. «قال أبو الخيزران دون أن يرفع بصره عن الأرض: الطريق بين صفوان والمطلاع تمتلئ بالدوريات في الليل، في النهار لا يمكن لأية دورية أن تغامر بالاستطلاع في مثل هذا القيظ»[13].

والخيال في الرواية يأتي من خلال بعض الأحلام، والتصورات التي تتخيلها الشخصيات، والتي تعبر عن آمالهم، وأمانيهم المستقبلية. **على سبيل المثال**، يتحدث صاحب الشخصية الكبيرة في السن "أبو قيس" عن حلمه بالعودة، إلى مسقط رأسه في فلسطين، والعيش هناك بعد سنوات من النفي والتشرد، كما يحلم الشباب الثلاثة الذين يسعون للهرب إلى الكويت، بتحقيق أحلامهم المادية والاقتصادية. وهذه الجوانب الخيالية تعزز من عمق الشخصيات وتكشف عن جانب إنساني فيها. كما تضيف البعد النفسي، والعاطفي للرواية، وتجذب اهتمام القراء، وتجعلهم يشعرون بالتعاطف، والترقب لمصير الشخصيات. «ولكنه كان يريد ذلك بملء رغبته وإرادته. كان مزاجه رائقاً وكانت الرسالة تشبه صفاء تلك السماء فوقه»[14].

ومن خلال دمج الواقعية القوية مع الخيال الجذاب، يتمكن الكاتب من إيصال رسالته، وتسليط الضوء على الظروف الصعبة، التي يعيشها الفلسطينيون، واللاجئون، وفي نفس الوقت يجعل الرواية مثيرة، وشيقة للقراء، وتبقى في ذاكرتهم لفترة طويلة.

الأحداث المأساوية: وقد امتازت رواية "رجال في الشمس" بالأحداث المأساوية التي تصب في حدث مأساوي هو "القضية الفلسطينية"، والتي نتج عنها قرار الهروب والتهريب من وطن محتل لا يجدون فيه لقمة عيش. **فقبل بدء عملية التهريب** يستعرض المؤلف تجارب مأساوية للعديد من أبطال الرواية، وخاصة وضع الأبطال الثلاثة الذين يسعون للهروب إلى الكويت وتنطوي تجارب هؤلاء الأبطال على معاناة شديدة، وصراعات مؤلمة، حيث يكافحون من أجل تحقيق حلمهم بالحرية والحياة الأفضل. «تراهم لو حملوني إلى معتقل الجفر الصحراوي، هل سيكون الأمر أرحم مما هو الآن؟ عبث الصحراء موجود في كل مكان»[15].

---

[13] المصدر السابق، ص 91.

[14] غسان كنفاني، رجال في الشمس، مصدر سابق، ص 41.

[15] المصدر السابق، ص 25.

من خلال النصوص والشواهد تأخذنا الرواية في رحلة مؤثرة من خلال معاناة هؤلاء الشخصيات، التي تعكس واقع اللاجئين الفلسطينيين، وتأثير الصراعات السياسية على حياتهم. إن تلك التجارب المأساوية تلقي الضوء على القسوة التي يعيشها هؤلاء الأفراد، وتدفعنا للتأمل في قضايا الهجرة والنزوح والحرية التي لا تزال تحتاج إلى حلول عادلة وإنسانية[16]. وقد مثَّل الأحداث المأساوية العديد من الشخصيات من خلال عدة مواقف إنسانية: 1- أبو قيس وموقف الانتظار السلبي، 2- أسعد .. العجز واليأس، 3- مروان .. الشاب عديم الخبرة، 4- أبو الخيزران .. الأنانية واللامبالاة.

ويرى الباحث أن قصص أبطال الرواية ورحلاتهم المأساوية نحو رغبتهم في الحرية والنجاة، تكشف عن التضحيات والتحديات التي يواجهونها في سعيهم لتحقيق آمالهم وأحلامهم. «أنصحكم أن تنزعوا قمصانكم .. الحر خانق ومخيف هنا، وسوف تعرقون كأنكم في المقلى»[17]. وقد كانت القصص الثلاثة خير مثال على الأحداث المأساوية، فكل منهم حمل حكاية قاسية الأحداث، تقص عبء القضايا الوطنية والاجتماعية على هؤلاء الفلسطينيين المشتتين بعد ضياع الوطن.

صورة اللاجئ الفلسطيني

وتنعكس صورة اللاجئين في الرواية بشكل رئيسي عن طريق ثلاثة شخصيات فلسطينية يسعون للهروب، والهجرة إلى الكويت. هذه الشخصيات تجسد معاناة الشعب الفلسطيني، والتحديات التي يواجهونها بعد النكبة، حيث يسعون للبحث عن فرص أفضل في بلد آخر، بعيداً عن الحرب والاضطهاد.

ومن صور المهاجرين في الرواية الشخصيات الفلسطينية الآتية: أبو قيس – أسعد – مروان.

ويُظهر الروائي صورة واقعية، ومؤلمة للحياة الصعبة التي يعيشها اللاجئون الفلسطينيون في بلدان الشتات. فالشخصيات الثلاثة تجد نفسها في مواجهة التهميش، وعدم الشرعية في الدول، التي استقروا فيها، مما يجعلهم يشعرون بالاغتراب، والعزلة في بيئة معيشية جديدة. وتتنوع صورة اللاجئ الفلسطيني في الرواية بين الإنسانية، والاحترام، والصمود في وجه التحديات، وبين الضعف، والاستغلال، والاستغفال من قِبل بعض الأفراد الذين يستغلون موقعهم كمهربين. تظهر الشخصيات الفلسطينية في الرواية بصورة متنوعة وواقعية، حيث

---

[16] عبد المحسن القطان، الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال، مرجع سابق، ص 27.

[17] غسان كنفاني، رجال في الشمس، مصدر سابق، ص 74.

تتعامل، مع تحديات الهجرة، والتهجير والبحث عن حياة أفضل. **وبالرغم من الصعوبات التي تواجههم**، تُظهر الشخصيات الفلسطينية في الرواية صموداً وعزيمة لمواجهة الصعاب، وتحقيق أحلامهم. إن رغبتهم في الهجرة، والبحث عن حياة أفضل ليست سوى محاولة للنجاة، والبحث عن الأمان، والاستقرار بعد النكبة التي حلت ببلدهم.

كما تعكس صورة اللاجئين في الرواية حالة "الاغتراب" و"البحث عن الهوية" و"الانتماء"، **وتسلط الضوء على** التحديات التي يواجهها الفلسطينيون في محاولة الاندماج في مجتمعات جديدة، والحفاظ على هويتهم الوطنية. وتساهم هذه الصورة في تسليط الضوء على القضية الفلسطينية، وإيصال صوت اللاجئين إلى العالم، ونشر الوعي حول واقعهم الصعب، ومعاناتهم اليومية. «أرجوك أرجوك! لا تبدأ بالنواح، كلكم تأتون إلى هنا، ثم تبدأون بالنواح كالأرامل، يا أخي، يا روحي لا أحد يجبرك على لالتصاق هنا، لماذا لا تذهب وتسأل غيري، البصرة مليئة بالمهربين»[18].

الحوار والمونولوج

إن المؤلف غسان كنفاني، استخدم عدة تقنيات فنية من بينها الحوار، والمونولوج، والتي تُساهم في بناء الشخصيات، وتطوير القصة بشكل فعال. ويشكل الحوار جزءاً أساسياً في الرواية، حيث يتم تقديم الأفكار، والمشاعر، والتوترات من خلال حوارات الشخصيات. ويعكس الحوار التفاعل بين الشخصيات، ويساهم في توضيح العلاقات بينهم. ومن خلال الحوار، يتم التعرف على آمال، وتطلعات الشخصيات، ومخاوفهم وانتقاداتهم للواقع المحيط بهم.

إن «الحوار هو اللغة المعترضة، التي تقع وسطاً بين المناجاة، واللغة السردية. ويجري الحوار بين شخصية، وشخصية، أو بين شخصيات، وشخصيات أخرى داخل العمل الروائي. ولكن لا ينبغي أن يطغُوا هذا الحوار على الشكلين الآخرين فتتداخل الأشكال، وتضيع المواقع اللغوية عبر هذا التداخل. والحوار الروائي المتألق يجب أن يكون مقتضباً، ومكثفاً»[19]. بالفعل، يتميز نمط الحوارات في رواية "رجال في الشمس" بالبساطة والوضوح، يمكننا أن نرى أن الحوارات قصيرة، وغير معقدة، وتستخدم جملاً بسيطة جداً. **ومع ذلك**، ينجح المؤلف ببراعة في توضيح العلاقات بين الشخصيات وطبائعها من خلال هذه الجمل البسيطة.

---

[18] غسان كنفاني، رجال في الشمس، مصدر سابق، ص 35.

[19] عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، علم المعرفة، الكويت، 1998م، ص 116.

وتلك التقنية تجعل القراء يندمجون مع الرواية، كما لو كانوا جالسين إلى جانب الشخصيات الرئيسية حيث تمكنهم من تشكيل صورة واضحة في عقولهم حول كل شخصية، مما يسمح لهم بالتعاطف، والتفكير مع المتحدثين في الرواية. وباستخدام هذه التقنية السردية، يتمكن الكاتب من خلق تجربة قراءة ممتعة ومثيرة، حيث يستطيع القارئ التأثر بأحداث الرواية، والاندماج بسهولة في عوالم الشخصيات.

وقد اختار الباحث الحوار التالي: في البداية، نجد أبا قيس، الرجل المسن الذي تقترب حياته من نهايتها، يقرر الهجرة بهدف تحقيق لقمة العيش له ولأولاده، ويجري حوار بينه وبين زوجته جاء فيه: «أبو قيس: سيكون بوسعنا أن نعلّم قيساً..

أمّ قيس: نعم.

أبو قيس: وقد تشتري عرق زيتون، أو اثنين.

أم قيس: طبعا!

أبو قيس: وربّما نبني غرفة في مكان ما.

أم قيس: أجل.

أبو قيس: إذا وصلت ... إذا وصلت»[20].

في هذه المحادثة، يظهر أبو قيس بصفته زوجاً وأباً، ويبدأ بتصور التغييرات الإيجابية التي يمكن أن يحققها بالذهاب إلى الكويت، وكسب لقمة العيش لأسرته، ويتخيل الحياة الأفضل التي سيتمتعون بها، ويعتقد أن هذه الخطوة ستجلب الرخاء والاستقرار لحياتهم. لكننا نلاحظ أن جمله الأربع تنتهي بعلامة حذف، وفيما يتعلق بالنقط الأربعة التي تم حذفها في المحادثة، فقد لاحظنا أنها تضفي جواً من التردد والقلق على الشخصية. يمكننا قراءة التردد والتوتر الذي يشعر به الشخص، خاصة في الجملة الأخيرة حيث تم تكرار "إذا وصلت" مرتين، مما يظهر ذعره وقلقه، يخشى ألا تحمل هذه المغامرة الحياة المرغوبة، وبدلاً من ذلك ينتهي بالموت على طريق مهجور[21].

وبناءً على ما قاله في المحادثة، يمكننا أن نلاحظ أن لديه آمالاً كبيرة في الذهاب إلى الكويت لكسب الرزق. يتحدث بشغف عن رؤيته للمستقبل، وعلى لارغم من الخوف الذي

---

[20] غسان كنفاني، رجال في الشمس، مصدر سابق، ص 18.

[21] أحمد محمد عوين، دراسات في السرد الحديث والمعاصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2015م، ص 23.

يكنه في قلبه، إلا أنه يولي الحياة الطيبة أهمية كبيرة. يبدو أنه مستعد للمخاطرة، والمضي قدماً نحو هذه المغامرة، ربما لأنه يرى فيها فرصة لتحقيق حياة أفضل لنفسها ولعائلته[22].

دعنا نلقي نظرة على كلمات زوجته مرة أخرى، إنها فقط تعبر عن التأكيد بثلاث كلمات مختلفة. لكن بهذه الكلمات الثلاث، يمكننا أن نشعر بوضوح بتوقعها لحياة أفضل، ولكن أيضاً بقلقها بشأن رحلة زوجها. أنشطتها النفسية، تشبه أنشطة زوجها، لكن يمكننا أن نشعر بمهارة أن توقعها، ورغبتها في حياة أفضل أكبر بكثير من الخوف من الرحلة.

ومن هذا، يمكننا أن نرى أن المؤلف استخدم جملة قصيرة ليبين العلاقة بين الشخصيات، والحالة النفسية في ذلك الوقت، مما يمهد الطريق للنص التالي، وفي نفس الوقت ترك القراء يبدأون في أحلام اليقظة، وجلب القراء إلى القصة. هذه نقطة رائعة بالفعل، فهي تُظهر المهارات الأدبية الاستثنائية للمؤلف[23].

- المونولوج:

يعني الحوار الداخلي، وهو أحد أنواع الحوارات في النص الروائي، حيث يُعتبر الخطاب المباشر الذهني للشخصية، وبعض الدارسين يُفضّلون تسميته بـ"العرض"، لأنه ينقل أفكار الشخصية بدقة، ويرى أن هذه التقنية تفصل بين الشخصية، والراوي. وبذلك يُنتج نوعان من الألفاظ؛ **أحدهما** هو صوت الراوي، **والآخر** هو كلام الشخصية. وتستخدم هذه التقنية لرسم صور الشخصيات، وتقديمها بناءً على الأفكار والمشاعر الداخلية التي يمر بها الشخص. يعتمد المونولوج على استكشاف الأفكار والمشاعر الخفية، وبهذا يُمكّننا من فهم الشخصية أكثر. ويختلف الحوار الداخلي "المونولوج" عن الحديث مع النفس "المناجاة"، إذ تعتبر الأخيرة مناقشة مستمع خارجي، بينما المونولوج، يُستخدم لاستدعاء المحتوى النفسي، والتعبير عنه دون توجيهه للآخر.

وقد استخدم تقنيات المونولوج، وتعدد الأصوات لتجسيد شخصياته بشكل مميز وفعال، ومن خلال هذه التقنية، أظهر كنفاني الشخصيات بطريقة مفصلة وعميقة، كاشفاً أفكارهم ومشاعرهم أمام القراء. **مثال:** خلال الرحلة، يتذكر السائق أنه قاتل من أجل بلده، وخسر شيئاً كان مهماً جداً بالنسبة له كرجل، لكنه انتهى به الأمر إلى خسارة بلده، وفي الوقت نفسه لم يعد رجلاً حقاً.

---

[22] المرجع السابق، ص 23.

[23] السابق، ص 24.

وباستخدام التقنيات السردية، رصد كنفاني تأثير الأحداث، والعلاقات المعقدة بين الشخصيات، وكذلك ماضيهم وحاضرهم. تمكننا التقنية الفنية من التجول بين الزمن والمكان بلا تشتت، فتشعر وكأننا في رحلة زمنية دون فقدان التركيز أو الملل.

واستخدم أيضاً **تقنية الخلف** خلفاً ليربط بين الماضي، والحاضر بطريقة سلسلة ويجعلنا نتعاطف مع الشخصيات، ونفهم أسباب ضعفهم وتحدياتهم. رغم ذلك، فإن أسلوب كنفاني يدفعنا إلى عدم تحيزنا، أو تعاطفنا المبالغ فيه مع الشخصيات، بل يحثنا على قراءة مسيرتها بكل واقعية، وفهم أسباب ضعفها وعجزها.

ويرى الباحث أن كنفاني استخدم التقنيات الفنية ليحاكي حياة الشخصيات بواقعية تامة ويجعل القراء يفهمونها، ويعيشون تجاربها بأسلوب مؤثر وملهم.

«ولكنه –على أية حال– لا يحقد على أبيه إلى ذلك الحد. صحيح أن أباه قام بعمل كريه، ولكن من هنا لا يفعل ذلك بين الفينة والأخرى»[24].

التشويق والإثارة

إن تقنية التشويق هي إحدى التقنيات الأدبية، التي يستخدمها الكتاب في الرواية لجذب انتباه القراء، وإبقائهم متشوقين لمعرفة ما سيحدث في القصة، وتهدف هذه التقنية إلى خلق حماس، وإثارة داخل النص الروائي، مما يدفع القراء لمواصلة القراءة، ومعرفة نتائج الأحداث، والتطورات التي تحدث في القصة.

تتمثل تقنية التشويق في إدارة التوتر، والتوقعات، والمفاجآت في الرواية بطريقة مهارية، يمكن استخدام مجموعة من العناصر لتحقيق التشويق، مثل:

1- التعقيد والصراعات: يُثار التشويق عندما تواجه الشخصيات تحديات، وصراعات صعبة، ويرغب القارئ في معرفة كيف ستتعامل الشخصيات مع تلك الصعوبات.

2- الأحداث المثيرة: تحدث أحداث غير متوقعة، أو مفاجآت تجعل القارئ يرغب في معرفة تأثيرها على الشخصيات، والقصة بشكل عام.

3- الألغاز والأحداث المجهولة: يمكن استخدام الألغاز، والأحداث المجهولة لتشويق القارئ وجعله يرغب في كشف الحقيقة والإجابة عن التساؤلات.

4- التوقيت الدرامي: يمكن استخدام التوقيت الدرامي لإيقاع الأحداث بشكل يثير الاهتمام والتشويق.

---

[24] غسان كنفاني، رجل في الشمس، مصدر سابق، ص 41.

5- التناقضات والمفارقات: يمكن استخدام التناقضات والمفارقات لإثارة التوتر والاهتمام بين الشخصيات والأحداث[25].

وقد استخدم كنفاني العديد من أساليب التشويق مثل التوتر، والقلق، والترقب لإبقاء القارئ مهتماً بالقصة، ويظهر ذلك بشكل واضح خلال بعض المشاهد الحماسية المشوقة. واعتمد المؤلف على التشويق والإثارة منذ بداية الصراع بين الشخصيات والواقع؛ فالعقدة قدمت صورة فنية لملامح التشتت الذي لازم أبطال الرواية منذ البداية، وأظهر العديد من النماذج السيكولوجية المتناقضة. فيما يتعلق بهذه النقطة، فإن أكثر ما أثار إعجابي هو الجزء الذي يختبئ فيه الأبطال الثلاثة في خزان المياه:

«اقتحم أبو الخيزران الغرفة الأخرى، وهو يحدق إلى ساعته، كانت تشير إلى الثانية عشرة إلا ربعاً .. توقيع الأوراق الأخرى لم يستغرق أكثر من دقيقة. وحين صفق وراءه الباب لسعه القيظ من جديد، ولكنه لم يهتم بالأمر، وقفز الدرج العريض مثنى مثنى حتى صار أمام سيارته، حدق إلى الخزان لحظة، وخيل إليه أن جديده على وشط أن ينصهر تحت تلك الشمس الرهيبة، استجاب المحرك لأول ضغطة، وطوى الباب في لحظة دون أن يلوح للحارس. الطريق الآن معبدة تماماً وأمامه دقيقة، أو دقيقة ونصف ليتجاوز أول منعطف يحجبه عن مركز المطلاع، لقد اضطر إلى تخفيف السرعة قليلاً حين التقى سيارة شحن كبيرة، ثم عاد فأطلق لسيارته كل العنان الممكن، وحين وصل إلى المنعطف صفرت العجلات صفيراً متواصلاً كأنه النواح، وكادت أن تمس الرصيف الرميل، وهي تقوم بدورتها الشيطانية الواسعة .. لم يكن في رأسه أي شيء سوى الرعب، وخيل إليه أنه على أن يقع فوق مقوده مغمياً عليه، كان المقود ساخناً، وكان يحسه يحرق كفيه الخشنين، ولكنه لم يخفف من تمسكه به، كان المقعد الجلدي يلتهب تحته، وكان زجاج الواجهة مغبراً يتوهج ببريق الشمس»[26].

وعلى الرغم من عدم وصف وضع الأشخاص الثلاثة في خزان المياه بشكل مباشر، إلا أن الكاتب ينجح في خلق جو متوتر، ومثير من خلال وصف تصرفات السائق بالتفصيل. ويُلاحظ كيف يسابق السائق الزمن لتسريع العملية، وإيصال السيارة إلى بر الأمان بأسرع وقت ممكن، ليتمكن الثلاثة من الخروج من الخزان. يُحقق الوصف المثير هذا شعوراً بإلحاح الوقت لدى القراء، ويُشعرهم بالقلق بشأن وضع الأشخاص الثلاثة في خزان المياه.

---

[25] عبد الملك مرتاض، بحث في تقنيات السرد، في نظرية الرواية، مرجع سابق، ص 45.

[26] غسان كنفاني، رجال في الشمس، مصدر سابق، ص 99.

إنه يُجسد الاختناق وكأن القراء يمرّون بتجربة الانغماس في خزان الماء الساخن، والمحكم الفارغ.

ويرى الباحث أن هذا يُظهر حقاً مهارات المؤلف الرائعة في الكتابة، من خلال عدم وصف وضع الأشخاص الثلاثة في خزان المياه بشكل مباشر، استخدم المؤلف تقنية ممتازة لخلق جوٍ مشوق، ومثير للاهتمام في الرواية.

إن تلك المهارة السردية الفذة تجعل القراء متشوقين لمعرفة ما سيحدث بعد ذلك، وكيف ستتطور الأحداث. إن القدرة على إثارة الانتباه، وإشعال الفضول هي علامة من علامات الكتابة الاحترافية، ويبدو أن المؤلف قد نجح ببراعة في تحقيق ذلك في هذا النص.

نتائج البحث

وبعد عرض هذه الدراسة بعنوان "الأبعاد الإنسانية في رواية رجال في الشمس لغسان كنفاني"، يجدر بنا الإشارة إلى عدة نتائج:

١-تعد رواية "رجال في الشمس" علامة مميزة من علامات الواقع السردي الحديث والمعاصر.

٢-مثلت الرواية صورة النكبة الفلسطينية الحقيقية بشكل واضح.

٣-رواية "رجال في الشمس" هي من أدب المقاومة الذي يعتبر من رسالة الأدباء والكتاب والمثقفين، الملتزمة بالحرية والقيم النبيلة، التي نضجت بالوعي والمعرفة المميزة.

٤-جسدت رواية "رجال في الشمس" روح الإنسانية والإيمان بقوة الإرادة والتحدي، لتحمل رسالة قوية للمجتمع الدولي، بضرورة التصدي للظلم والاحتلال ونصرة الحقوق الإنسانية والعدل.

٥-عرضت الرواية مظاهر الشتات، والتشرد، والتهجير للفلسطينيين بعد النكبة.

٦-كان لمذهب الواقعية، ودمج الخيال حيزاً كبيراً في الرواية لنقل الواقع المأساوي، والتحليق بدرب الخيال والأحلام.

٧-نجح المؤلف في رسم شخصياته من خلال استخدام الواقعية، فأتت الشخصيات بتفاصيل حية، وتتجلى أمام القارئ كأنها أشخاص حقيقية، بتجارب ومشاعر حقيقية.

٨-إن الشخصيات التي اختارها الكاتب مثلت ثلاثة أجيال مختلفة، من خلال فترات متعاقبة وراء كل منها قصة ومعاناة.

٩-تميزت الشخصيات الروائية بالعديد من الأنماط مثل الشخصية القيادية، وشخصية السياسي المناضل، واللاجئ المهاجر.

١٠-كشفت قصص أبطال الرواية ورحلاتهم المأساوية عن القضايا الوطنية والاجتماعية للفلسطينيين المشتتين بعد ضياع الوطن.

١١-عكست صورة اللاجئين في الرواية حالة "الاغتراب" و"البحث عن الهوية" و"الانتماء"، كما سلطت الضوء على التحديات التي يواجهها الفلسطينيون في الاندماج في مجتمعات جديدة، والحفاظ على هويتهم الوطنية.

١٢-برزت التقنيات الفنية المتميزة في رواية "رجال في الشمس" مثل تقنية الرمز والاسترجاع، والحوار والمونولوج، والتشويق والإثارة.

المصادر والمراجع

١-غسان كنفاني، رجال في الشمس، دار منشورات الرمال، 2015م.

٢-إبراهيم الفيومي، الواقعية في الرواية الحديثة في بلاد الشام، دار الفكر للنشر والتوزيع، 1983م.

٣-أحمد بن سعيد العدواني، النهايات السردية في روايات غسان كنفاني كلية اللغة العربية، قسم الأدب، جامعة أم القرى، 2016م.

٤-أحمد محمد عوين، دراسات في السرد الحديث والمعاصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2015م

٥-جهينة عمر الخطيب، تطور الرواية العربية في فلسطين 48، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 2012م.

٦-حميد لحمداني، بنية النص السردي، الدار البيضاء، المغرب، 1993م.

٧-سلمى الخضراء الجيوسي، مقدمة الأدب الفلسطيني في العصر الحديث المعاصر، مطبعة جامعة كولومبيا، نيويورك، 1992م.

٨-عباس خضر، الواقعية في الأدب، دار الجمهورية، 1967م.

٩-عبد الجليل، الاتجاه الرمزي في رواية "رجال في الشمس" لغسان كنفاني القراءات النقدية، نداء الهند، 2016م.

١٠-عبد المحسن القطان، الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال 1947، 1968، ط1، 2005م.

١١-عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، علم المعرفة، الكويت، 1998م.

١٢-كريمة بركة، بنية الشخصيات والمكان في رواية "رجال في الشمس"، رسالة ماجستير، كلية اللغات والترجمة، الجزائر، 2018م.

١٣-اللجنة المعنية بممارسة الشعب الفلسطيني لحقوقه غير القابلة للتصرف،أصول مشكلة فلسطين وتطورها، ج5 (1989 – 2000) الأمم المتحدة، نيويورك، 2014.

١٤-ماهر الشريف، القضية الفلسطينية في الكتابة التاريخية العربية، مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد 14، العدد 55، 2003م.

١٥-المنجي بن عمر، الرمز في الرواية العربية المعاصرة، المركز الديمقراطي العربي، ط1، 2021م.

١٦-نادية سعيد عيشور، الصراع الاجتماعي، الاتجاهات التنظيرية التقليدية والسوسيولوجية، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، 2013م.

١٧-نصر عباس، الشخصية بين الواقع والدلالة في الرواية الفلسطينية "رواية "ما تبقى لكم" لغسان كنفاني نموذجاً، جامعة القدس المفتوحة، الرياض، 2004م.
١٨-نضال صالح، قضية الأرض في الرواية العربية الفلسطينية، اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2004م.
١٩-وليد حسن المدلل، د. عدنان عبد الرحمن أبو عامر، دراسات في القضية الفلسطينية، جامعة الأمة للتعليم المفتوح، فلسطين، 2013م.